الصهيوني» الذي قال يفسييف عنه: «ان الصهيونية تملك امكانات كبيرة لشن حروب دون طلقات، بالرغم من ان النظام الحاكم في اسرائيل يقوم بشن حروب صريحة». وأورد ارقاماً تفيد بأن الصهيونية تملك رسمياً ١٠٣٨ مجلة دورية تصدر حاملة اسم الصهيونية (ص ١٢١).

وثمّة جانب معلوماتي آخر هام للغاية تناوله الكتاب، هو «اشكال الدعم الصهيوني والغربي للكيان»، ونقل معلومات وتحليلات يفسييف في هذا الصدد والمدلولات التي تحملها، مبرزاً الدعم المادي، وفيه ان تبرّعات الصهيونيين الاميركيين زادت على مليار دولار في العام ١٩٨٢، اضيفت اليها «عشرات الملايين التي وصلت دعماً للعدوان على لبنان»، وذلك في واحدة فقط من قنوات الدعم المادي الكثيرة. ثمّ هناك «دعم الصناعة الحربية الصهيونية» التي، بفعل الدعم الغربي والاميركي خاصة، تمكّنت من انشاء ترسانة اسلحة تقليدية، وأسلحة نووية، طبقاً لما تضمّنته كتابات يفسييف، التي اضافت معلومات ومعطيات تتعلق بـ «التأثير الصهيوني في الكونغرس الاميركي»، وهو امر معروف على نطاق واسع، ومنها ان الرأسماليين اليهود في الولايات المتحدة الاميركية يساهمون بنسبة ٤٠ بالمئة من نفقات الانتخابات للحزب الجمهوري و ٦٥ بالمئة للحزب الديمقراطي، اللذين ينتمي اليهما اغلب اعضاء الكونغرس الاميركي (ص ١٣٧).

الفصل الخامس، وهو آخر فصول الكتاب، خُصّص لعرض «آراء ومواقف متفرقة» للكاتب الراحل. وفي اطار هذا الفصل تناول الجوانب التاريخية («الصهيونية في روسيا القيصرية») مع الجوانب النظرية («الاممية والقومية») ثمّ السياسية («القضية الفلسطينية وعنصرية الصهيونية»)، واخيراً المعلوماتية وهي «مشاركة الولايات المتحدة الاميركية في العدوان على لبنان».

وطبقاً لما اشار اليه الكاتب، فان يفسييف «يعتبر، بحق، اول من اولى اهتماماً كبيراً» لدراسة تاريخ الصهيونية في روسيا، بالكشف، من خلال المعطيات والوقائع والارقام، عن الانشطة التي قام بها الصهيونيون الاوائل، ونظّموا، وحاكوا كثيراً، من المؤامرات لدفع جماهير اليهود الى خارج اجواء الاندماج في اطار روسيا، ومن اجل استثارة الهمم اليهودية للهجرة الى فلسطين. ومن اجل ذلك، تمّ تشكيل احزاب وتنظيمات صهيونية كثيرة في روسيا القيصرية، حيث ولدت اكبر التنظيمات الصهيونية، قبل ان تأتي الى فلسطين (ص ١٤٩ ـ ١٦٠).

وتناول المؤلف رأي يفسييف في «الاممية والقومية» من خلال حوار أُجري مع العالم السوفياتي قبيل اغتياله باسبوع، مؤكداً ان رأيه في الموضوع لا يختلف عن الرأي السائد في اوساط الشعوب السوفياتية، وهو انه ليس هناك ما يمنع الانسان من الاعتزاز بقوميته واممّيته في آن، دون ان يوصف بأنه شوفيني. ونقل عنه قوله ان «الشوفينية ليست حب الوطن والقومية، بل هي كراهية الشعوب الاخرى والعداء لها»، وهذا ما يفعله الصهيونيون (ص ١٦٢).

وبصدد القضية الفلسطينية وعنصرية الصهيونية، نقل الكاتب تأكيد يفسييف لاهمية قرار الامم المتحدة الرقم ٣٣٧٩ لعام ١٩٧٥ الذي يصنّف الصهيونية بالعنصرية، وهو ما تؤكده الممارسات والسياسات الصهيونية، اضافة الى الايديولوجيا الصهيونية، في تعاملها مع العالم والعرب والفلسطينيين خصوصاً. ونقل عنه رأيه بصدد مستقبل القضية الفلسطينية وخلاصته: «اخذوا منكم كل شيء بالقوة، فلا تتوقعوا منهم ان يعيدوا اليكم شيئاً، مهما كان بسيطاً، الاّ بالقوة. ليس هناك طريق آخر...» (ص ١٦٧).

ملاحظات عامة

سجّل كتاب هاني مندس اهمية خاصة، من حيث موضوعه. ولكن هذه الاهمية لا تلبث ان تصاب بوهن واضح، حيث تمّ التعامل مع الموضوع من جانب واحد، هو النشاط المناهض للصهيونية، وبخاصة نشاط يفسييف؛ وكلاهما امر هام للغاية، ولكنهما لا يعوّضان عن غياب النقطة الاولى، او عن عدم وضوحها واكتمال لوحتها، وهي نشاط الحركة الصهيونية في الاتحاد السوفياتي، والوجود اليهودي هناك، وهو امر سجّل غياباً كلياً عن مادة الكتاب.